من استحالة ايمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك فيكون الاستثناء الآتي
بيانا لكون قوم يونس عليه السلام ليس ممن حقت عليهم الكلمة لاهتدائهم الى التدارك في وقته بخلاف
فرعون فانه اخر الايمان الى ان اخذ بمخنقه ولولا تحضيضية توبيخية ومعناه هلا وقيل ان لولا هنا
بمعنى ما النافية يعني فما كانت **قرية** يعني فهلا كانت قرية واحدة من القرى العاصية التي اهلكناها
آمنت اي تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل معاينة العذاب وفي اللباب عند معاينة العذاب
ولم يؤخر كما اخر فرعون الى ان لحقه الغرق **فنفعها ايمانها** اي نفع اهل ذلك القرية تصديقهم
ورسوله عند الياس كما في اللباب اوفي وقت الاختيار كما في المدارك بان يقبل الله منها ويكشف العذاب
عنها **الا قوم يونس** هذا استثناء منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم امنوا فنفعهم ايمانهم وقيل
الاستثناء متصل والجملة في معنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى العاصية الهالكة الا قوم
يونس وانتصابه على الاستثناء **لما آمنوا** اي لما اخلصوا الايمان عند رؤية امارة العذاب
ولم يؤخروا الى حلوله **كشفنا عنهم عذاب الخزي** اي الذل والهوان **في الحيوة
الدنيا** اي بعدما اظلهم امارته **ومتعناهم الى حين** يعني ومتعناهم بمتاع الدنيا
بعد كشف العذاب الى وقت انقضاء آجالهم وفي اللباب واختلفوا هل رأوا العذاب عيانا ام لا
فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الاكثرون انهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله تعالى
كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع او اذا اقترب وقوعه ذكر القصة
في ذلك على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس
كانوا بقرية نينوى من ارض الموصل وكانوا اهل كفر وشرك فارسل الله عز وجل اليهم يونس
عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقيل له
اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا
قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان
جوف الليل خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال
ابن عباس ان العذاب كان اهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل
فلما دعوا كشف الله عنهم وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشي قوم يونس العذاب
كما يغشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا
فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت اسطحتهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم
يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بانفسهم ونسائهم وصبيانهم
ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس
والدواب فحن البعض الى البعض فحنت الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعلت الاصوات
وعجوا جميعا الى الله وتضرعوا اليه وقالوا امنا بما جاء به يونس وتابوا الى الله واخلصوا النية
ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف ما نزل بهم من العذاب بعدما اظلهم وكان ذلك اليوم يوم
عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى ان كان
الرجل

ليأتي الى الحجر قد وضع اساس بنيانه فيقتلعه فيرده وروى الطبري بسنده واخرج احمد ايضا
في الزهد وابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابي الجلد جيلان قال لما غشي قوم
يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد نزل بنا العذاب فما ترى قال
قولوا يا حي حين لا حي • ويا حي محيي الموتى • ويا حي لا اله الا انت • فقالوها فكشف الله عنهم العذاب
ومتعوا الى حين يقول الكاتب محمود بن محمد بن علي رايت شيخي وقدوتي الشيخ عبد القادر قدس سره في
المنام فقال لي اسم الاعظم يا حي يا قيوم لا اله الا انت واني قد جربت فوجدت الفائدة وقال فضيل
ابن عياض رحمه الله انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم واجل فافعل بنا
ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله قالوا وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا فقيل
له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذابا وكان من كذب ولا بينة له قتل فانصرف
عنهم مغاضبا فاتى البحر فاذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير اجرة فلما دخلها وتوسطت ولججت
وقفت السفينة لا ترجع ولا تتقدم قال اهل السفينة ان لسفينتنا لشانا قال يونس قد عرفت شانها
ركبها رجل ذو خطيئة قالوا ومن هو قال انا اقذفوني في البحر قالوا ما كنا لنطرحك من بيننا
حتى نعذر في شانك فاستهموا فاقترعوا ثلاث مرات فادحض سهمه والحوت عند رجل السفينة
فاغر فاه ينتظر امر ربه فيه فقال انكم والله لتهلكن جميعا او لتطرحني فيه فطرحوه فيه وانطلق
واخذه الحوت وقال ابن عباس والبحر هو بحر الروم وفي رواية جاء حوت آخر اكبر منه فابتلع هذا الحوت
واوحى الله الى الحوت لا تؤذ منه شعرة فاني جعلت بطنك سجنه فلم اجعله طعاما لكم انما جعلت
بطنك حرزا او مسجدا وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه ابتلعه الحوت فاهوى به الى قرار الارض
وكان في بطنه اربعين ليلة فسمع تسبيح الحصى فنادى في الظلمات لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين فاجاب الله له فامر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ الممعط فانبت الله عليه
شجرة من يقطين وهو الدباء يعني القرع فجعل يستظل تحتها ووكل به وعلة يشرب من لبنها فيبست
الشجرة فبكى عليها فاوحى الله اليه تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون واردت
ان اهلكهم فخرج يونس فاذا بغلام يرعى فقال من انت يا غلام قال من قوم يونس قال اذا رجعت
اليهم فاخبرهم اني لقيت يونس قال قد تعلم انه ان لم يكن لي بينة قتلت فقال يونس تشهد لك
هذه البقعة وهذه الشجرة فقال له الغلام فمرهما فقال يونس اذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له
قالتا نعم فرجع الغلام فقال لقيت يونس فامر الملك بقتله فقال ان لي بينة فارسلوا معي فاتى البقعة
والشجرة فقال انشدكما هل اشهدكما يونس قالتا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك تشهد
له الشجرة والارض فاخذ الملك بيد الغلام فاجلسه في مجلسه وقال انت احق بهذا المكان مني فاقام
امرهم ذلك الغلام اربعين سنة والله اعلم وقد ذكر بعض العلماء قصة يونس في سورة الصافات
ونرجو الله ان نذكر هناك ان تيسر بعض ما بقي من قصته على اختلاف الروايات والله ذو الفضل العظيم
فان قلت كيف كشف العذاب عن قوم يونس بعدما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب
عن فرعون حين امن ولم يقبل توبته قلت اجاب العلماء المعول على اقوالهم عن هذا باجوبة

٥٣٩

Copyright © King Saud University